مغامز المعاجم العربية

مقدمة البحث

من يمعن النظر في المعاجم العربية التي ألفت في اخريات هذه الايام ويقابلها بالدواوين التي من جنسها تلك التي صنفت في العهد الاول من هذه اللغة يرَ ان الفرق زهيد لا يكاد يذكر مع ما ادعى اصحابها التفوق على من تقدمهم في هذا الضرب من التصنيف بخلاف من تتبع معاجم الافرنج فانهُ يراها تدرجت تدرُّجاً يضاهي تدرج الطفل في العمر اذ تراهُ كهلاً بعد ان كان وليداً

اني لا اقول ذلك من جهة الظواهر الخارجية وسهولة البحث والتنقير عن الكلمة فان المتأخرين فاقوا المتقدمين في هذا المعنى ولم يحصروا على هذا الغرض الأ من بعد ان الَّف الافرنج تآليفهم في اللغة فتاثرهم مؤلفونا احسن التأثير ربما فاقوهم في عدة امور هي طفيفة لكن لها شأن يذكر في مثل هذه الدواوين التي هي بمنزلة المعهد والمرجع لمن يريد تثبت الالفاظ وسرعة ايجادها ضناً بالوقت وتفادياً من الوقوف على ما لا يريدهُ في وقت بحثهِ من الالفاظ الخارجة عن موضوعهِ

اما قولي ان المحدثين من واضعي المعاجم لم يزيدوا شيئاً يذكر على ما صنفهُ الاوائل فهذا يرجع الى تعريف الالفاظ ونقل عبارات المتقدمين بدون تدبر والقاء الكلام على عواهنهِ وقلة تدبُّرهم ما يكتبونهُ الى غير هذه الامور التي تُحققها اذا ما اخذت بيدك هذه التصانيف وتصفحت ما ورد فيها واستقريتهُ وانتقدتهُ بفكر وبصيرة . ولما كان المتقطف حامل لواء العلم الى جميع الديار العربية وكان وحيدَ صوت العلماء من كل صقع وحدب وهو شيخ المجلات العربية اتيتُ بهذه المقالة لاتحف بها قراءهُ مجاذبة العرفان حتى اذا وضعوا معجماً من المعاجم اللغوية ادخلوا فيهِ ما يحسنهُ في العيون ويقي عنها سوء الظنون . فاقول :

ذكر مغامز المعاجم

في الدواوين اللغوية عدة معايب ومغامز لا بد من ان تزال منها صوناً لها في هذا العصر عصر التقدم والرقي والاصلاح . ومن هذه المغامز :

ان المؤلفين لم يذكروا في دواوينهم كثيراً من الالفاظ المستعملة في تصانيف المؤرخين والكتَّاب واصحاب الفنون والصنائع المختلفة ولذلك لا ترى فيها اثراً للكلم الواردة

في مفاتيح العلوم وشفاء الغليل وابن خلدون وابن القفطي وغيرهم كالبلاذري وابن الاثير من الالفاظ المولدة والمحدثة والمخترعة عند العلماء عدة الحاجة في عصرهم وعصرنا ولا بد من امثلة على ذلك : اطلب مثلاً هذه الكلمات في معاجمهم فانك لا تقف عليها من أثر فالادوية الآتية وهي الزعرح والطالبسان والقاقلة والاسم الميعوفر والسنجبوية والعلفلوية لا وجود لها فيها — والكيد والزمامة والابتزاز والخصار والتشريق والكنار دُوزي والكنار شبي والتسيير بالمعاني التي يعقدها بها المجمون والفلكيون غير معروفة في مصنفات لغتنا . واذا نشرت فيها عن الاسطرلاب الصدفي والمدرض والمبطح فانك لا تجد لها ما يفيدك عنها ادنى فائدة . فاذا طالعت كتب المولدين في عهد العباسيين وكتاب الاغاني للاصبهاني فانك تجد ذكر السجاج والصياح والاسجاح والاضعاف والتصحيح الاسجاح واذا سألت عنها اعلم موسيقي العصرين المتقدم والمتأخر لم يستطيعوا ان يفيدوك ادنى فائدة وما النقص الأخطر الماحم من هذه المصطلحات

ولهذا تراها لا تعذر لغوياً في العصر من اهمال الالفاظ الحديثة الرفع كالجريدة والمجلة والجهر والمنطاد والسيارة والبرقية ولسان البرق والقطار والخافلة والسلك واللاسلكي والمقالة والنبذة والمعتمد والمفوض والاعتماد واللامركزي الى غيرها التي تعد بالمئات مع انك ترى معاجم الافرنج يذكرون المصطلحات العلمية والفنية والاوضاع الحديثة وهذا ما يجب علينا ان نحذوهم فيه

٢ كثير من المعاجم الحديثة التأليف ادعى اصحابها انهم دونوا في مصنفاتهم جميع الالفاظ الواردة في كتب السلف اللغوية وزادوا عليها اشياء عثروا عليها في مطاوي ابحاثهم ومطالعاتهم . واذا استقريت بعض المواد وجدت فيها نقصاً . فانك لا تجد مثلاً في محيط المحيط واقرب الموارد وحد القاموس ومعجم فريتاغ هذه الكلمات مثلاً : العركل والعظرب والجعفلين والجهن والجهانة الى غيرها . لا ان هذه الكلم مما يحرص عليها بل انما نقول هذا القول رداً على بعض من ادعى تدوين جميع ما ورد في كتب السلف . ولهذا ازيد على ما تقدم انهُ يجب على اللغويين المحدثين ان يطالعوا معاجم الاقدمين ككتاب العين والقاموس واللسان وتاج العروس والمصباح والصحاح واساس البلاغة وغيرها مطالعة كافية مادة بعد مادة ولفظاً ما يوجد فيها مما فات المحدثين ليصنعوا معاجم شاملة وافية . وانهُ لا يكتفي المحدثون بذلك بل عليهم جمع ما تشتت من الفاظ المولدين والادباء والكتاب على اختلاف طبقاتهم لتكون الفائدة تامة ويحسن بناشري كتب الاقدمين ان يذيلوها بما فيه من

الالفاظ الغريبة من الخاصة بالمؤلف وبسط الشرح عليها كما يفعل الافرنج في يومنا هذا حتى اذا اراد اللغوي العصري ان يؤلف معجمة يهون عليه جمعها بدون مطالعة الكتاب كله وهو عما يشق عليه — بل عما يشق على جماعة يصنفون معجماً واحداً في هذا المعنى فكيف بالواحد المستقل بنفسه

٣ ومما يجدر بالنقد ان المحدثين خلطوا بين الفصيح والمولد والعامي واستهجن والقبيح والمائت من الالفاظ وهو امر شنيع يستقبحه العرب وقد ادخله الافرنج في تآليفهم الحديثة فاخذه عنهم صاحب محيط المحيط واقرب الموارد ومن اخذ عنهما . وقد صرح بعضهم ان الكلمة الفلانية هي عامية وهي ليست من ذلك في شيء ككلمة زغل وزغلول ومنهم من قضى بانها مولدة او ممانة والامر على غير ما توهموه — فعلى اللغوي الحديث ان يدرس طبقات اللغويين وطبقات الفاظهم ولا يمزج القبيح بالصحيح والحي بالمائت والقديم بالحديث والمستهجن بالفصيح فهذه كلها من المساوىء التي لا تغتفر في لغتنا . اولا ترى الافرنج انفسهم قد وضعوا رموزاً لكل طبقة من الالفاظ فينبهون على صحيحها من سقيمها وقديمها من حديثها ودخيلها من صحيحها وموضوعها من منقولها الى غير هذه مما تراه مدوناً في كتبهم

٤ من غريب اعمال اللغويين المحدثين كصاحب محيط المحيط واقرب الموارد والمنجد ومعجم الطلاب وغيرهم انهم ذكروا بعض الالفاظ في غير مظانها ومعاهدها وها انا اذا اسوق اليك مثلاً فانهم ذكروا كلمة « هوذا » في مادة (ه و ذ) وهو من اغرب الغرائب . اما اللغويون العارفون باصول اتكم الواقفون على الالفاظ اهل الاشتقاق والنحو فانهم ذكروها في مادة « ها » كما في لسان العرب والتاج والقاموس ونحوها

٥ ان الاقدمين والمحدثين قد غلطوا اغلاطاً لا تحصى في معرفة الدخيل من الالفاظ فانهم قالوا ابليس من بلس وانها عربية واسطرلاب مركبة من اسم حكيم وضع هذه الآلة وكان اسمه (لاب) ثم وضع على آلاته اسطراً فسميت : اسطرلاب . وقالوا : الخندريس من الخمر سنة وقال صاحب محيط المحيط الحربا معرب حُرْبَا بالفارسية (كذا مع انه ليس في لغة الفرس حرف الحاء) ومعناه : حافظ الشمس (كذا . وليس في الفارسية كلمة تقرب من هذا اللفظ ويراد به الشمس او الحافظ او حافظ الشمس . والمعروف ان هذه الدويبة تعرف باسم « آفتاب پرست » ومعنى هذا اللفظ المركب : الساجد للشمس او العابد لها . واين هذا من قول صاحب المحيط . اما اذا كانت اللفظة قد انتقلت من صورة الى صورة

فلا يكاد العرب يتشبهون لاصلها . فارقين مثلاً لفظة تعني الدراهم وهي على وزن جريح الا ان اصلها ازرقين بكسر الاولين جمع رقة في حالتي النصب والجر واصل رقة ورق كما قالوا اصل عدة وعد واصل ورق من الفارسية پَرّه و يقال فيها پاره وهي القطعة من كل شيء فاستعاروها للدراهم من باب التغليب وهي الكلمة التي تنلم الترك الى لغتهم بصورة پاره فاخذناها عنهم وفقنا پارة باظهاء المنقوطة باثنتين . ومعنى الورق على الصحيح هو المعروف عند الافرنج بكلمة Petite monnaie

٦ ومما يجدر بالنقد ايضاً ان بعض المعاجم نسيت ان تنبه عن عجمة بعض الالفاظ او عاميتها او مولدها او سيئها او حوشيها او ميتها فاختلطت بالفصيح من الفاظ العرب وهو عيب شائن فالزبة مثلاً اعجمية معربة الاصل . وجهانة صفة لا موصوف واصلها فارسي وذكر بعضهم كفر يتاغ وحبيط الحبيط الجهانة الشابة وهو خطأ وكان يجب ان تقرن بموصوف ليبين انها صفة فيقال شابة جهانة . — وعندي انها من الفارسية « جوان » اي شاب مثل اللاتينية Juvenis والفرنسوية Jeune ويحتمل ان هاء جهانة للتأنيث وان مذكرها جهان تبعاً للاصل وقد ورد بيان بهذا المعنى ونقله دوزي عن بعض العرب

٧ ارى ان بعض اللغويين ضيعوا البصر في تحقيق بعض الالفاظ فالكش مثلاً عند العراقيين معروف عند صغارهم وكبارهم بلديهم وحضريهم بمعنى المثير وهو ما يلقح به النخل فجاء في تاج العروس في مادة ابر : قال ابن الاعرابي : المثير والمأبر : ما يلقح به النخل كالخش انتهى . كذا) وقال في هامش لسان العرب : المثير كثير ما تلقح به النخلة كالخش كذا في الاصل ولعله كالخش انتهى ما في الهامش . قلت ان : والاصح كالكش اي ان المثير بمعنى الكش وهو ما يلقح به النخل . فانظر كيف ان صاحبي اللسان والتاج لم يهتديا الى سواء السبيل . وقال صاحب التاج في مادة ك ش ش : الكش بالضم : الحرف (هكذا بالفاء في الآخر) الذي يلقح به النخل . والاصح ان يقال الحرّق (وزان علم وبقاف في الآخر) وهو شمراخ النخال يلقح به او الحرق (وزان قصب) وهو بالمعنى المذكور ويقال له ايضاً الحُشّ (وزان قُفْل) وقال الشرتوني في ذيل اقرب الموارد في مادة ابر : المثير كثير ما تلقح به النخلة كالخش وعلى هامش اللسان كذا في الاصل ولعله كالحش » اه كلامه . فانه هو ايضاً لم يهتد الى الحقيقة

ومن غريب هذه المعاجم على اختلاف حجمها وتحقيق اصحابها انها لم تحقق ان الدَّمَّة (وزان قصب) والدِّمَّة (وزان حبة) والدَّامَّة شيء واحد فهذا القصب المعروف عند الافرنج

باسم Jeu de dames وهو لعب قديم الاستعمال في الشرق وكان يعرفهُ قدماء المصريين كما رأيناهُ مصوراً في بعض رسومهم . والقطة الافرنجية عربية التجار اذ اخذ الغربُ هذا اللعب عن الشرق

٨ ومما يؤخذ عليهم انهم تلاعبوا ببعض الكلم العربية مما ورد في المتن او في الشرح فخبطوا فيها وخلطوا . قال في التاج : عسد يعسد . اهملهُ الجوهري وهو من حدّ ضرب : سار في الارض . هكذا في سائر النسخ وهو تصحيف قبيح وقع فيهِ وذلك ان ابن دريد قال في الجمهرة « والعَسْد ايضاً البَيْر فصحفهُ المصنف بالسير ثم اشتق منهُ فعلاً فقال عسد يعسد اذا سار ولم ارَ لاحدٍ من ائمة اللغة ذكر العسد بمعنى السير فتامل وانصف » اه

وقال في القاموس : الممتش كمنبر . . والصواب الممتش على صيغة اسم المفعول والفاعل من امتشّ وحمل الممتش من امتش وهو النص الخارب

وجاء في تاج العروس في مادة مشش : أمشيشا . . . وكانت البسّ عيناً ماحة . وهو كلام مصحف واصلهُ . وكانت أُلَيْس (مصغرة مشددة اللام بعدها ياء ساكنة) من مَاحَها وقال : يوم البس والصحيح : يوم أُلَيْس . اذ ليس عند العرب يوم يعرف بالبس بل بأُلَيْس . وقالوا في تعريف الفقاعة : الحجارة التي تطفو والصواب الحجاة . وقالوا في ح ي ر : والنسبة الى الحيرة : حاريّ كما قالوا في تمر تمري (بتاء مثناة قبل الميم) والصحيح كما قالوا في تَمْر (بفتح فكسر) تَمْري (بفتح فسكون) اذ لا شذوذ في النسبة الى التمر وانما الشذوذ الى التَمْر بفتح وسكون واذا نسب اليهِ فسكن الميم . والمراد من ذلك انهُ كما شذت النسبة الى التمر (بالنون) شذت النسبة الى الحيرة

وفسّروا الوكمة بالغرفة المُشْبَعَة والصحيح بالغيضة الملتفة

وقال جميع اللغويين في تعريف ابي براقش : طائر صغير يري كالقنفذ . والصحيح كالقنبر وهل يُشبَّه الطواويس بالقنفذ ولا مناسبة بينهما . ثم زادوا التعريف غرابة انهم قالوا : ولهُ ست قوائم والظاهر ان اول من عرّف هذا الطائر ورآهُ كان احول فرأى الزوج زوجين ثم نظر الى ظلهِ فظنهُ لهُ فقال ما قال ولم ينتبه الى ان لكلّ طائر رجلين لا غير . على ان الاقدمين اذا عثروا في تعريفهم القديم السقيم فلا يعذر المحدثون الذين يتقلون مثل هذه السخافات التي لا معنى لها اليوم

والاغلاط في التعريف أكثر من ان تحصى . راجع مثلاً تعريفهم للبسوب والفار والجرذ ونحوها من علم الحيوان . والقطاطير او القطاطير لحبّ الصبا او الشباب فكل ذلك

من التعاريف القديمة التي لا يهتدى الى معناها الا بعد الجد والجهد

٩ من مزايا المعاجم اللغوية الوقوف على معنى الغريب من الالفاظ . والمثال اننا نجد بعضهم يفسّر اللفظ المألوف بلفظ غريب غامض فقد جاء في القاموس : الخِبْر : النفْس ولو شرح اللفظة وقال : المادة السائلة التي يكتب بها لاصاب واوعى المراد . وفسّروا القعد بالشيهم والجُهْن بالجُبْن الى غيرها مما لا حاجة الى ايرادهِ لان مقامنا هنا مقام تذكير لا مقام تفصيل

١٠ في اغلب المعاجم اغلاط صرفية مخالفة للنصوص او اصول او قواعد النحاة . قال في محيط المحيط في مادة « ا ل و » : والأُلة والأُلوة والأُلية والأُليّا : القسم ج الآيا والحقيقة ان الآيا جمع أُلية او أُليا وليست جمع الوة المثلثة الهمزة فان جمع هذه هي أُل بضم الهمزة وبكسرها . وجمع بعضهم القس على قساوسة وهو خطأ والصواب ان القساوسة جمع قسيس مثل شماس وشمامسة وجمع فعال وفعيل وفعول المشددة من باب واحد . وجمعوا اتون على اتانين بنونين في الآخر بفصلها ياء (ورد هذا الجمع في التاج والقاموس وتاج العروس وغيرها) والاصح اتانين كما نبّه عليهِ صاحب المصباح وورد في كلام الاقدمين وشعرهم المتين

١١ كثيراً ما قال اللغويون مع الصرفيين اشياء جازمين فيها عدم وجود مثلها او ندرتها او حصر عددها . اما حقيقة الامر فليست كذلك . مثلاً : قال التاج في مادة سقف : « اسقف النصارى . زاد غيرهُ : وأُسقُفيهم كأُرْدُنّ اي بضم الاول وتشديد الآخر وعليهِ اقتصر ابن السكيت فيما نقلهُ الجوهري : ولا نظير لهُ سوى أُسرُبّ » اه . والمثال قد ورد غيرهما في كلام العرب كأُتْرُجّ وأُشْكُرّ

وقال الفارابي في ديوان الادب « لم يأتِ على فُعلال شيء من اسماء العرب الرباعي السالم الا مكرراً نحو القسطاط والقرطاط . فاما القسطاس فحرف رومي وقع الى العرب فتكلمت بهِ . وقيل : القسطاس : العمود . وقال الاصمعي : القرناس : حرف الجبل . . . » قلت : وجاء القرطاس (وهي مثلثة) والدقناس (طائر) والبرجاس والسرحاب وبلعار وبرطاس وغيرها . فاطلاق النفي في كتبهم في غير موضعهِ

وفي التاج في مادة زند وجمعها على أزناد ما حرفهُ : « اما ازناد فشاذ ولا نظير لهُ الا فرخ وافراخ وحمل وأحمال لا رابع لها كما قالهُ ابن هشام . والمثال اني قد جمعتُ نحو مائة كلمة جمع فيها فعل المفتوح الفاء على افعال منها طنف واطناف نصر وانسار نهر وانهار

عرّدوا عراد بلد وانباذ جمل واجان (بمعنى جمّل بالتجريك) الى غيرها مما يطول ذكره . وفي كتب اللغة كثير من مثل هذا الاطلاق وكذلك في كتب الصرفيين والنحاة وهو مما يحتاج الى ان ينظر فيه ويصحح لان عصر النقل عن الائمة بدون نقد كلامهم قد ذهب مع من ذهب

١٢ ادخل العرب الفاظاً اعجمية واصلوا نقل معانيها فقد قالوا : « الشكيمة كسفينة الانفة والانتصار من الظلم وايضاً العهد وايضاً الشم . هكذا في النسخ والاولى الشم . وفي بعض النسخ : والفهد والسم وهو غلط وبكل ما ذكر فُسّر قولهم ذو شكيمة (انتهى عن تاج العروس)

قلتُ هكذا فسرها اغلب اللغويين . اما الشكيمة بمعنى العهد فغريب اذ ليس في المادة ما يؤيد هذا المعنى . واما الشم فكذلك بعيد بخلاف الشم فقد يقرب من معنى الانفة فان ابتعد عنهُ شيئاً في المعنى فمحتمل في العربية والمثل فيها اكثر من ان تحصى . واما السم فهو ابعد ما يكون . والصحيح عندنا ان معاني الشكيمة هنا الفهد والسور فتكون تعريب الشكم (كمنبر) او الاشكم (كاصحل) وهما جلد الفهد او السور يُسلخ من قبل البطن . والفهد هنا بمعنى الوشق loup-cervier . اما لفظة السم فما هي الا تصحيف السور وهذه تصحيف السموم ثم لما رأى النقلة ان لا مناسبة للسموم المجموعة للدلالة على الشكيمة وهي مفردة فردوها وقالوا السم . وهذا هو سر اختلاف اللغويين في شرح هذه اللفظة بمعانٍ مختلفة

وقالوا في تعريب التفّة : قال الاصمعي : التفة دويبة كجرو الكلب . قال : وقد رايتها او كالقارة (كذا بخطه) وهذا نقلهُ ابن دريد وقد انكرهُ الاصمعي — قلت : انما انكر الاصمعي هذا التشبيه لانهُ قرأها كالقارة بالقاف وانما هي كالقارة بالقاف وهي الدُبّة ومشابهة التفة للدبة امر مشهور ذهب اليهِ علماء الافرنج ايضاً في العهد الاول وفي هذا العهد . وهو احسن من قول الاصمعي : دويبة كجرو الكلب . لاسيما لانا نعلم ان المراد بالتفة الدابة التي قال عنها الدماني ما يثبت وصفها احسن الوصف اذ ذكر انها من « الجوارح الصائدة ثم زاد : وكانت عندي منها عدة دواب وهي تكبر حتى تكون بقدر الخروف حسنة الصورة ويقال لها الفنجل وعناق الارض وفارسيتهُ « سياه كوش » وبالتركية « قرا قلاغ » وبالبربرية « بنه كدرد » ومعنى الكل « ذو الآذان السود » واكثر ما تجلب من البربرة وهي احسنها واحرصها على الصيد . قال : وكون ما رايت هذه الدابة في مقدشوه » انتهى

وقال في التاج في آخر مادة « و ر ف » وعما يستدرك عليه « بهرف » كيضرب اسم صبي بهِ لكثرة صوتهِ » انتهى . قلت : وهو مبني على قول ابن سيدة في المخصص (٨ : ٧٥) : ويقال لبعض السباع هو يبهرف بصوتهِ اي يتزيد فيهِ انتهى . فالظاهر ان صاحب التاج قرأ من العبارة : ويقال لبعض السباع : يبهرف ولم ينتبه الى ما قبلها وما بعدها اما انت فتيقظ

هذا بعض مغامز دواوين لغتنا ذكرتهُ على سبيل التنبيه ليعلم الناس ان كتبنا تحتاج الى اصلاح ونقد من كل جهة ليكون عندنا منها ما يعتمد عليهِ ولا نبقى على ما كنا في سابق العهد متتبعين خطوات الاقدمين خطوة بخطوة ولا نبتعد عنهم قيد شعرة . فهذا زمن تدخلا هو واصحابهُ وما علينا الاَّ السير في طريق جديدة طريق التحقيق والتدقيق طريق الجهد والنقد طريق السعي والفلاح والحمد لله اولاً وآخراً امكح

الحياة بعد الموت

ومناجاة الارواح (تابع ما قبلهُ)

جلسة ١٧ دسمبر ١٩٠٥

قال السر اوليفر لدج كنت اتكلم مع مسز كندي والخال جمات يدها تكتب فكتبت ما يأتي مضى عليَّ مدة طويلة فقولي لابي اني هنا الا ريمند

لدج — يا ولدي

ريمند — يصعب عليَّ يا ابي ان اعبر عن كل ما اشعر بهِ اما الآن فلا مناص من القول اني احبك يا ابي احبك حبًّا جمًّا

لدج — انا اعرف ذلك يا ابني فهل تريد ان تقول شيئاً لامك واخوتك

ريمند — كنت هنا اليوم وكلمت امي ولكنني لا ادري هل سمعتني . قُل لها ذلك وقبّلها عني

لدج — سمعت بك جليًّا واضحًا منذ عهد قريب رأتك في رؤيا عند الفجر

ريمند — لا شبهة في انها سترائي فاني في الغالب قريب منها ولكنني لا اعلم هل رأتني قبل الآن

لدج — لقد دنا عيد ميلاد يا ريمند